الزهراء: مجلة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية
e-ISSN: 2502-8871
p-ISSN: 1412-226X
DOI: http://dx.doi.org/10.15408/zr.v22i1.42609
السنة الثانية والعشرون، العدد: ١، ١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م
هذا المنشور متاح مجانا بموجب ترخيص نسبة المصنف إلى مؤلفه CC-BY-SA
https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/

Makānat Ṣaḥīḥ al-Bukhārī fī al-Maghrib al-Islāmī: Nuskhat Abī ʿAlī al-Ṣadafī Anmūdzajan

◊ كمال بن الحسين التيزاوي
جامعة الزيتونة – تونس
tizaouikamel952@gmail.com

تاريخ إصدار المقال :
تاريخ الاستلام: ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤
تاريخ المراجعة: ٢٣ ديسمبر ٢٠٢٤
تاريخ القبول: ٥ نوفمبر ٢٠٢٥

الكلمات المفتاحية:
البخاري، أبوعلي الصدفي، المغرب الإسلامي، الجامع الصّحيح

الملخص

تهدَف هذه الدّراسة إلى إبراز مدى اهتمام العلماء المسلمين بالكتاب الثاني في الأمة المحمّدية بعد كتابهم الأول القرآن المجيد، إنه صحيح الإمام البخاري محمد بن إسماعيل البخاري، وخصوصا في ربوع المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، مع فذٍ من علمائها وعبقريّة فريدة، تلقّت الجامع الصحيح سماعا، وخطّ لنفسه نسخة مميّزة عزيزة بخطّ نفيس مع تعليقاتٍ جليلة دالّة على مكانة علميّة عالية رفيعة، إنها نسخة أبي عليٍّ الصّدفي الأندلسي للجامع الصحيح، وهي حلقة في سلسلة هذا الكتاب الموسوعة، وهذا كلّه بهدفِ إظهار أنّ البخاري كتاب ثابت في نسبته لصاحبه، وأن أهل العلم اعتمدوا معه منهج المحدّثين في التلقي والنسخ والمقابلة، والاعتناء بالإمام الصدفي وبنسخته هو في الحقيقة خدمة للجامع الصحيح للبخاري.

Al-Zahra: Journal for Islamic and Arabic Studies
e-ISSN: 2502-8871
p-ISSN: 1412-226X
DOI: http://dx.doi.org/10.15408/zr.v22i1.42609
Vol. 22, No. 01, 2025 M-1447 H
This is an open access article under CC-BY-SA license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

The Status of *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* in the Islamic Maghrib: The Manuscript of Abu ʿAli al-Ṣadafi as a Case Study

◊ **Kamel Ibn Housayn Tizaoui**

University of Zeitouna – Tunisia
tizaouikamel952@gmail.com

Article History
Received: November 27, 2024
Reviewed: December 23, 2024
Accepted: November 5, 2025

Keywords
Bukhari, Abu Ali al-Sadafi, Islamic Maghreb, Sahih al-Bukhari

Abstract

This study aims to highlight the extent to which Islamic scholars have shown deep interest in the second most important book for the entire Muslim ummah. *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* is ranked immediately after the Holy Qur'an, which explains its exceptional significance in al-Andalus and throughout the Islamic Maghrib. One distinguished scholar from this western region of the Islamic world—renowned for his brilliance and scholarly precision—received an authentic oral transmission of *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. He subsequently produced, in his own handwriting, a uniquely valuable manuscript enriched with insightful marginalia and annotations that reflect his profound mastery of the text. This authentic recension of *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, preserved by Abū ʿAlī al-Ṣadafī, forms a part of his larger encyclopedic manuscript. The manuscript of Abū ʿAlī al-Ṣadafī is of paramount importance because it reinforces the authenticity and unquestionable provenance of *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Islamic scholars have examined and authenticated this manuscript through methodologies rooted in the science of ḥadīth transmission, including oral verification, precise documentation, and comparative analysis. Therefore, the study of Abū ʿAlī's manuscript provides significant evidence supporting the integrity and authenticity of *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*.

Abstrak

Studi ini bertujuan menyoroti sejauh mana para ulama Islam menunjukkan minat yang mendalam terhadap kitab terpenting kedua bagi seluruh umat Muslim. *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* menempati peringkat setelah Al-Qur'an, sehingga menjelaskan kedudukannya yang sangat istimewa di Andalusia dan di seluruh Maghrib Islam. Salah satu ulama terkemuka dari kawasan barat dunia Islam—dikenal karena kejeniusannya dan ketelitian ilmiahnya—menerima transmisi lisan yang autentik dari *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Ia kemudian menulis sebuah naskah unik yang sangat berharga dengan tulisan tangannya sendiri, lengkap dengan catatan pinggir dan komentar yang menunjukkan kedalaman ilmunya. Naskah autentik *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* yang diwariskan oleh Abū ʿAlī al-Ṣadafī ini merupakan bagian dari manuskrip ensiklopedisnya yang lebih besar. Manuskrip Abū ʿAlī al-Ṣadafī memiliki arti penting karena mengukuhkan keaslian dan otoritas *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Para ulama memverifikasi naskah ini melalui metode ilmu periwayatan hadis, termasuk tradisi lisan, aturan pencatatan, dan perbandingan naskah. Karena itu, mengkaji manuskrip Abū ʿAlī memberikan bukti kuat mengenai integritas dan keotentikan *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*.

مكانة صحيح البخاري في المغرب الإسلامي
نسخة أبي عليّ الصّدفي أنموذجا

المقدمة

لا يخفى على كل مهتمّ ومشتغل بالحديث النبوي وعلومه أن أوّل كتاب ضمّ من أحاديث النبيّ صلى الله عليه وسلم صحيحها فقط هو:" الجامع الصحيح المسند" للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ(ت٢٥٦ه)، وقد ألف كتابه هذا وجمعه بعد رحلات علميّة طويلة بلغت مدّتها ستة عشر عاما، واشترط أثناء اختياره لروايات الحديث التي ضمّها كتابه أن تكون ذات طرق صحيحة فضلا عن اشتراط اللّقاء والممارسة أي مصاحبة رواة الحديث الموجودين في الإسناد بعضهم البعض. إن هذا الشرط إلى جانب منزلة البخاري في هذا الفنّ وهو أمير المؤمنين في الحديث جعل طلبة العلم يجدّون ويقطعون الفيافي لتحصيل الكتاب سماعا عن مصنفه. وممن ذاع صيته بتلقّيه وسماعه للصحيح أبو ذرّ الهروي (ت٤٣٤ه) الذي اعتمد على ثلاثة نسخ للجامع الصحيح لكلّ من أبي إسحاق المستملي (ت٣٧٦ه) و أبي محمد الحمّويي(ت٣٨١ه) و أبي الهيثم الكُشمِيهني(ت٣٨٩ه) الآخذين عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري(ت٣٢٠ه) أحد تلاميذ البخاري الحاملين لأصل الكتاب الذي سمع الصحيح مرّتين من الإمام (Al-Sabtī, t.t.)؛ وجد أبو ذرّ الهروي فروقا في نسخ مشايخه فميّز بينها برموز، وجلس بمكة لإسماع الصحيح، فرحل إليه طلبة العلم من المشرق والمغرب ومنهم الإمام المالكي الكبير أبو الوليد الباجي (ت٤٧٤ه). وعند عودة الباجي للأندلس سمع منه الصحيح كثرة من طلبة العلم أبرزهم الإمام الكبير والمحدّث البارع والقاضي النبيل الشهيد أبو عليّ الصدفي (ت٥١٤ه) شيخ القاضي عياض، أبو علي خطّ لنفسه وبخطّه الأندلسي الفاخر الدّقيق نسخة عتيقة فريدة نفيسة من صحيح البخاريّ التي ظهرت في القرن الماضي بمكتبة بطرابلس الغرب- ليبيا فرّج الله عن أهلها وأمّنهم الله وحفظ دماءهم وأعراضهم (Ibn Basykuwāl, 1989).

وتنحصر إشكاليةّ هذه الدّراسة في بيان مكانة الجامع الصحيح للإمام البخاري في بلدان المغرب الإسلامي. وإمكانية برْهنة النسخة الصدفية عن حقيقة البخاري وإمامته، ونفي القول بأسطورته.

لقد كتب الباحثون حول البخاري قديما وحديثا كتبا ودراساتٍ ومقالاتٍ، سيّما في بلاد المغرب الإسلامي. ومنها: مدرسة الإمام البخاري في المغرب للدكتور يوسف الكتّاني (Al-Kattānī, t.t.)؛ والحافظ الرّحّالة أبو علي الصّدفي الأندلسي وجهوده في خدمة الحديث النبوي وعلومه للكاتب محمد بن زين العابدين رستم (Rustum, 2011)، وهذه الأطاريح الثلاثة ارتكزت على إبراز القيمة العلمية والحديثيّة للجامع الصّحيح ولصاحبه وبالتالي سيادته وإمارته في علم الحديث، وإظهار جهود الحافظ الصّدفي وعنايته بالبخاري سماعا وإسماعا، رواية ودراية وذلك في مخطوطة فريدة صارت عمدة أهل التحقيق والشرْح في العصور اللاّحقة. إلاّ أنه قد ظهرت دراسة حديثة لرشيد بن حميد أيلال وسَمها بصحيح البخاري نهاية أسطورة (Aylāl, 2017)؛ حاول فيها أن يشكّك في وجود البخاري، وكتابه مستندا إلى انعدام وجود نسخة مخطوطة بخطّ الإمام نفسه، وهو بذلك لا يقرّ لأهْل الحديث بمنهجهم في التّحمّل والأداء.

تمت كتابة هذا البحث باعتماد المنهج الوصفيّ والاستقرائيّ، حيث تتبّع الباحث ما دوّنه العلماء بخصوص نسخة الصدفي وما قرّره في حاشيته عليها من علوم نافعة. والهدف الرئيس لهذه الدراسة تتمثل في الاعتناء بصاحب الأصل وبيان قيمة ما كتبه بخطّه الفاخر الجميل، كما حاول الباحث إبراز بعض التعليقات الصدفية على النسخة المخطوطة البخاريّة. والقصد من ذلك إظهار مدى اعتناء المغاربة خصوصا بالبخاري وتلقّيه وفق منهج أهل الحديث المُحكَم. وبالتّالي تأكيد إمامة البخاري وسيادته الحديثيّة وأنّه حقيقة ثابتة لا أسطورة كاذبة كما يروّج لذلك.

ومن هنا تبرز الأهمّية البالغة لهذه الدّراسة وذلك لارتباطها بنسخة فريدة من نوعها، لا تزال مخطوطة، لأهمّ كتابٍ بعد القرآن وهو صحيح الإمام البخاري، وهذه النسخة شهد لها أهل العِلم بالنفاسة والجودة وقد تلقّاها صاحبها وقابلها وأفاد في حاشيتها دررا علميّة نقلها بعض شرّاح الصحيح عنه، كذلك فإن إبراز هذه النسخة المخطوطة ولمَ لا طباعتها ونشرها كما هي، وعليها سماعات وتعاليق كبار أيمة الحديث لَرَدٌّ علمي عمليّ على كلّ مشكّك في صحيح الإمام البخاري، أو واصف له بالأسطورة أو بالخرافة، ومن ثَمَّ يتحقق لدى كل دارس لأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيح مصداقيتها وثبوتها.

مكانة البخاري في المغرب الإسلامي.

البخاري المولدُ والنّشأة

عاش أبو عبد الله البخاري في أرقى فتراتِ العصر العبّاسي، إذ ولد في الثالث عشر من شهر شوّال عام أربع وتسعين ومائة للهجرة(١٩٤هـ)، بمدينة بُخَارى من أرض خراسان موطن آبائه وأجداده. (Al-Kattānī, t.t.) ولم تختلف نشأته عن أترابه حيث كان الطّفل يوجّه إلى الكتّاب لتعلّم القرآن الكريم ثم يرتقي تدريجيا في مراحل العلْم والمعرفة إلاّ أنّ النّجابة قد ظهرت على محمد بن إسماعيل منذ الصّبا فنُقل عنه قوله:" ألهِمتُ حفظ الحديث وأنا في الكتّاب" (Al-Qāsimī, 1330)، فلمّا قوي عوده وشبّ ارْتحل رحلاتٍ علْميّة كثيرة لمزيد تحصيل الحديث ولقاء المحدّثين فأثِر أنّه قال:" كتبْت عن ألف وثمانين نفسا ليسَ فيهم إلاّ صاحب حديث" (Al-Qāsimī, 1330).

منهج البخاري في صحيحه

لمّا سمع البخاري شيْخه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه(١٦١-٢٣٨هـ) يقول:" لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"، وقع ذلك في قلبه، وشُحِذت همّته وأخذ في جمع الجامع الصّحيح، وهو أوّل مصنّف في الصّحيح المجرّد. (Al-Suyūṭī, 2005) انتهج البخاريّ في جامعه منهجا بديعا فشمل طريقة أخذ الحديث، وكتابته، وجمعه، واختيار الشيوخ ورجال الإسناد، فاعتمد لنفسه منهجا لاختيار شيوخه فلم يكن يأخذ إلاّ عن الثّقات المشهود لهم بذلك. وفي ذلك يقول: "كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة، وليس عندي حديث لا أذكر إسْناده". (Al-Nawawī, 2008). وهذا يدلّنا أنّه لا يأخذ إلاّ عن الثّبْت الرّاجح الثّقة عنده وعند المحدّثين. أمّا منهجه في كتابة الحديث، فقد تميّز بمزايا كثيرة، ومنها توخّي الرّويّة والأناة رغم حفظه الكبير واتّساع مداركه، فصنّفه في ستّة عشر عاما، بين الحرمين الشّريفين، وخصّ التّراجم بالرّوضة الشّريفة؛ قال:" صنّفت كتاب

الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثا إلاّ بعد ما استخرْتُ الله تعالى، وصلّيت ركعتين، وتيقّنت صحّته" (Al-Qāsimī, 1330). وجامعه الصّحيح وسَمه باسمٍ دالٍّ على منهجه فيه فهو:" الجامع الصّحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه"؛ ومنه أخذ العلماء شروط صحّة الحديث عنده بأن يكون الحديث متّصلا لا انقطاع فيه، وأن يكون رواته عدولا، ضابطين متقنين. هذا ما جعل إقبال طلبة الحديث على سماع هذا الجامع منذ ألّفه صاحبه إلى زماننا هذا سيّما في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس. وعمل البخاري هو حكم على الحديث المسند بالصحّة، وهذا أمر في غاية الأهمّيّة فالمقصد منه تحرير ما نسب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو مع القرآن الكريم أصلي الإسلام الحنيف. (Mustaghfirin, 2022)، ومعلوم أنّ الحكم على حديث بالصحّة أو الضعف أمر اجتهادي، حدد له العلماء حدودا ومعايير بها يكون صحيحا سالما من كلّ عيب يلحق المتن أو السند. (Pahrudin, A & Bahrul, N. 2023)، ومنهج البخاري في جامعه الصحيح نقدي تمحيصي، فلا يخرّج فيه حديثا مسندا إلا إذا كان صحيحا عند جماهير أهل العلم والنّقد، وهذا يدلّنا أنّه اشترط الصحّة فيه لا في بقيّة مصنّفاته، ولذلك فإنّ البخاري يخرّج الضّعيف ويحتجّ به في كتابه الأدب المفرد. (Dahlan, 2018) لأنّه لم يشترط فيه ما اشترطه في جامعه الصّحيح.

عناية علماء المغرب الإسلامي بصحيح البخاري

بدأ الاهتمام بجامعِ البخاري منذ ذاع صيته في زمنٍ مبكّر حيْث رحل المغاربة إلى المشْرق لتلقّيه من تلامذة صاحبه، وكانت رحلة الشقيقان الرّفيقان أبو الحسن القابسي، التّونسي(ت٤٠٣هـ) وأبو محمّد الأصيلي المغربي، الأندلسي (ت٣٩٢هـ) إلى المشْرق رحلة مباركة تلقّيا فيها الصّحيح، وضبط الأصيليُّ نسخة رفيقه القابسي، إذ كان كفيفا. وكان هذا الأخير الأوّل عودة لموطنه القيروان؛ فكان له السبْق في إدخال البخاري إلى إفريقية(تونس) برواية أبي زيد المَروزي، أمّا الأصيليّ فمكث بعد صديقه مدّة، فسمع من المروزي ومن أبي أحمد الجرجاني. فلمّا عاد ومعه نسخة مقابلَة مسموعة مضبوطة من الجامع الصحيح تحلّق الناس حوله، فكان أوّل من رُوي عنه الصحيح بالمغرب. (Al-Kattānī, t.t.).

فالقابسي والأصيليّ هما شمسا المغرب الإسلامي في رواية جامع البخاري، فعنهما رواه أبو عِمران الفاسي(ت٤٣٠هـ)، ومن طريقه اتّصل القاضي عياض(ت٥٤٤هـ) بالقابسي، وابن عطيّة الأندلسي(ت٥١٨هـ) بالأصيليّ. وكتاب البخاري بخطّه عارضَه- أي قابلَه وصحّحه- القاضي عياض إذ يقول:" وعارضت كتابي بِأَصْل الْأَصيلِيّ الَّذِي بِخَطِّهِ حرفا حرفا". (Al-Yaḥṣubī, t.t.) فهو حقيقة لا وهما، تلقّاه عياض وهو ثقة إمام مشهور، وعمل على مقابلة نسخته على نسخة الأصيليّ المقابلة على نسخة تلامذة البخاري.

وهكذا اتّصل المغاربة بالبخاري وتواصلت البِعثات العلْمية طلبا لعلوّ السّند بعد هذا فرحل أبو الوليد الباجي إلى مكّة وسمع الصّحيح من أبي ذرّ الهروي، وعن الباجي تلقّى الصّدفي وعنه موسى ابن سعادة مسلسلا بالسماع من أوّله إلى آخره. (Al-Kattānī, t.t.).

السّيرة الذاتيّة والعلميّة للحافظ الصدفي

١- السّيرة الذّاتية

هو القاضي الشهيدُ الحافظُ أبو عليّ الحسين بن محمد بن فِيرُّه بن حيّون الصدفي المعروف بابن سكّرة (Al-Yaḥṣubī, 1982)؛ و حيّون: بحاء مهملة مفتوحة تليها ياء مُثناة من تحت مشدّدة مضمومة، وهو اسم مصغّر من يحيى؛ وفيرّه: اسم جدّه وهو اسم عجميّ بلغة أعاجم الأندلس ومعناه الحديد، وهو بكسر الفاء وسكون الياء المُثناة من تحت وتشديد الرّاء المهملة وضمّها؛ وسكّرة: بضمّ السين المهملة وكاف مفتوحة مشدّدة بعدها راء مهملة ثم هاء ساكنة (Ibn Farḥūn, t.t.)؛ وأمّا الصّدفي فضُبط بفتحتين، قال ياقوت:" الصّدف بالفتح ثم الكسر وآخره فاء، مِخلاف باليمن منسوب إلى القبيلة. والنسبة إليهم صَدَفِيّ" (Al-Ḥamawī, 1977)؛ وكنيته فقد نصّ عليها ابن بشكوال حيث قال:"يكنى أبا عليّ" (Ibn Basykuwāl, 1989). ولَاشك أن الحافظ الصدفي أندلسي الأصل وتحديدا سَرقسطي من أهل مرسية. (Ibn al-Abbār, 2000).

وُلد أبوعليّ "بسَرَقُسطَةَ" (Ibn Farḥūn, t.t.)،" في قرية على أربعة أميال منها بمنزل محمود بالثغر الأعلى في نحو أربع وخمسين وأربع مائة" (Al-Yaḥṣubī, 1982)، وأمّا الوفاة فلا خلاف بين كلّ من ترجم للصدفي أنه مات شهيدا عام أربع عشرة وخمسمائة (٥١٤هـ)، قال في السير :" توفّي شهيدا في خروجه في غزوة "قتندة" ويقال أيضا "كتندة" بالثغر الأعلى يوم الخميس لستّ بقين من ربيع الأول من سنة أربع عشرة وخمسمائة وهو يومئذ من أبناء الستّين" (Al-Ḏzahabī, 1982).

٢- السيرة العلمية

لقد اجتهد الصدفي رحمه الله في طلبه للعلم ولم يقصّر، يشهد لذلك كثرة مشايخه الذين قاربوا المائة (Rustum, 2011). فمن أجلّ وأشهر من أخذ عنهم القاضي أبو عليّ الحسين بن مبشّر المعروف بابن الإمام صاحب أبي عمرو الدّاني (ت ٤٨٠هـ)، قال ابن الجزري:" قرأ عليه أبو عليّ ابن سكّرة " (Ibn al-Jazarī, 2006) ، وأفاد الذهبي أن أبا عليّ تخرّج عليه في القراءات قال:" قرأ عليه القراءات جماعة منهم أبو عليّ ابن سكّرة " (Al-Ḏzahabī, 2003). وتلقّى عن القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ثم القرطبي المالكي (ت ٤٧٤هـ)، قال في الغنية:"وسمع بها – سرقسطة – من الباجي" (Al-Yaḥṣubī, 1982). ومن هذا يقع لنا العلم أن الصّدفيّ أخذ عن الباجيّ بسرقسطة، وذلك عقب مَقدَم الباجي إليها وأبو عليّ حينئذ في مقتبل العمر لم يتجاوز العشرين، ولقد وصف لنا القاضي الصدفي مجلس وهيبة وتوقير شيخه الباجي فيما ذكره ابن بشكوال عنه " ما رأيت مثله وما رأيت على سَمته وهيبته وتوقير مجلس١هـ" (Ibn Basykuwāl, 1989). وتتلمذ لأبي بكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري المعروف بالطّرطوشي (ت بالإسكندرية ٥٢٠هـ). حيث لقيه مرّتين وسمع منه وتتلمذ على يديه. فابن بشكوال يذكر اللقاء بينهما بمكة " ولقي بمكة ... أبابكر الطّرطوشي" (Ibn Basykuwāl, 1989). وأثبت الحموي اللقاء وأخْذ ابن سكّرة عن الطرطوشي بالأندلس عند الباجي، قال القاضي أبو علي الصدفي: " صحبته بالأندلس عند الباجي ولقيته بمكة وأخذت عنه أكثر السنن لأبي داود عن

التستري ثم دخل بغداد وأنا بها " (Al-Ḥamawī, 1977). كما أخذ عن أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدّلائيّ، يكنى أبا العبّاس (ت٤٧٨هـ). فقد أثبت القاضي ابن عطية سماع الصدفي من العذري. (Ibn ʿAṭiyyah, 1983).

٣- رحلة أبي عليّ الصّدفيّ العلميّة إلى المشرق

بعد أن استكمل الصّدفي تكوينه وتحصيله العلمي القاعديّ أخذًا عن جِلّة شيوخ وجهابذة بلده كما هي العادة في تلك الأزمنة، رحل إلى المشرق في رحلة علميّة حافلة التقى خلالها بكبار العلماء والمحدّثين فأكثر من المشيخة حتى بلغ عددهم نحو مائتي شيخ. فقد ذكر القاضي عياض اتساع روايته ومشيخته فقال:" واتسعت روايته وقد جمعت شيوخه في كتاب المعجم الذي ضمنته ذكره وأخباره وشيوخه وأخبارهم وهم نحو مائتي شيخ". (Al-Yaḥṣubī, 1982) فللقاضي الصّدفي مشايخ في مكّة وبغداد والبصرة والشام والإسكندرية وبيت المقدس فكّ الله أسره وبإفريقية وغيرها.

ولقد كفانا مؤونة البحث عن تفاصيل هذه الرحلة ابن بشكوال إذ قال: " ورحل إلى المشرق أول محرّم سنة إحدى وثمانين وأربعمائة (٤٨١هـ) في البحر من عامه ولقي بمكة أبا عبد الله الحسين بن عليّ الطبري (ت٤٩٨هـ) وأبا بكر الطّرطوشي (ت٥٢٠هـ) وغيرهما، ثم صار إلى البصرة فلقي بها أبا يعلى - أحمد بن محمد بن حسن بن علي بن زكريا ، العبدي - البصري المالكي(ت٤٩٠هـ) وأبا العبّاس الجرجاني و أبا القاسم بن شعبة وغيرهم؛ وخرج إلى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الأصبهاني؛ ودخل بغداد يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين (٤٨٢هـ) فأطال الإقامة بها خمس سنين كاملة وسمع بها من أبي الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون (ت٤٨٨هـ) مسنِد بغداد، ومن أبي الحسن المبارك ابن عبد الجبّار الصّيرفي – ابن الحمّامي – (ت ٥٠٠هـ) وأبي محمد رِزق الله بن عبد الوهاب التميمي(ت٤٨٨هـ)، و أبي الفوارس طراد بن محمد الزّينبيّ(ت ٤٩١هـ)، وأبي عبد الله الحميدي، وتفقه عند الفقيه أبي بكر الشاشي –الشافعي- (ت٥٠٧هـ) وغيره.

وسمع من جماعة سواهم من رجال بغداد، ومن القادمين أيام كونه بها، ثم رحل عنها في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين(٤٨٧هـ)، فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي(ت٤٩٠هـ)، وأبي الفرج سهل بن بشر الإسفراييني (ت ٤٩١هـ)،وغيرهما؛ وسمع بمصر من القاضي أبي الحسين علي بن الحسين الخِلعيّ(ت٤٩٢هـ) وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الرازي(ت ٤٩١هـ) وأجاز له بها أبو إسحاق الحبّال(ت ٤٨٢هـ) مسنِد مصر في وقته ومكثرها، وسمع بالإسكندرية من أبي القاسم مهديّ بن يونس الورّاق ومن أبي القاسم بن سعيد وغيرهما، ووصل إلى الأندلس في صفر من سنة تسعين وأربعمائة (٤٩٠هـ)" (Ibn Basykuwāl, 1989).

والذي يستفاد من هذ النص الطويل أنّ الرحلة كانت عبر البحر ومعلوم مخاطرُه في ذلك الزّمن، وأمّا بدايتها فكانت في المحرّم من عام ٤٨١هـ ونهايتها عام ٤٩٠هـ أي امتدّت على تسع سنين كاملة طاف الصدفي خلالها بلدانا عدة مثل مكة والبصرة وبغداد والشام ومصر والإسكندرية؛ مما جعله يكثر من الرّواية عن شيوخ ومسندي كل بلدة يدخلها في تلك الرّحلة العامرة. ثم إن الحافظ الذهبي يثبت أن ابن سكّرة دخل إفريقيّة وأخذ عن شيخ القيروان وعالمها وقتئذ أبي محمد سليمان بن أبي الفضل القيرواني الذي وصفه في تاريخه بـ" مسنِدٍ معمّر" وذكر حديثا دون أن يذكر متنه استفاده القاضي الصدفي من الشيخ سليمان القيرواني. (Al-Ḏzahabī, 2003).

والمُلاحَظ وجود الاختلاف البيّن بين ما خطّه ابن بشكوال في وصف رحلة القاضي الصّدفيّ وما ذكره الحافظ الذهبي من أخذ الصّدفي عن سليمان بن أبي الفضل القيرواني؛ فابن بشكوال ينصّ أن هذه الرحلة العلميّة بدأت ٤٨١هـ بينما توفي الشيخ أبو الفضل القيرواني في الثمانين بعد الأربعمائة (٤٨٠هـ). وعليه فأخْذ الصدفي عنه محالٌ والله أعلم بالحال.

٤- تلاميذ أبي عليّ الصّدفي

بعد وصول الحافظ الصّدفيّ إلى الأندلس قافلا من رحلة علمية حافلة بتحصيل علمٍ جمٍّ غزير، استوطن مُرسية وجلس يحدّث النّاس بمسجدها. فرحل إليه طلبة العلم وكثر الآخذين عنه. وقد ألّف ابن الأبّار معجما في أصحاب القاضي الصّدفيّ ذكر فيه الرّواة عنه وساق أسماءهم على حروف المعجم فبلغ العدد ثلاث مائة وخمس عشرة راويا (٣١٥راوٍ). ومن أبرز هؤلاء الأعلام الذين اشتهروا بالعلم والحفظ والرّواية القاضي الإمام عياض بن موسى اليحصُبي السّبتي الأندلسي صاحب الشفا ومشارق الأنوار والإلماع والإكمال حيث قال في الغنية:" رحلت إليه غرّة محرّمٍ سنة ثمان (٥٠٨هـ) فوجدته في اختفائه ثم خرج فسمعت عليه خيرا كثيرا والحمد لله" (Al-Yaḥṣubī, 1982). ومن أبرزهم أيضا عبد الملك بن مسرّة بن خلف اليحصبيّ أبو مروان:" رحل إلى أبي عليّ فسمع منه بمُرسية في سنة ٥١٢هـ، وأجاز له ". (Ibn al-Abbār, 2000). كما تلقّى عنه موسى بن محمد بن سعادة أبو عمران البَلَنسي:" سمع منه عامّة رواياته ولازم مجلسه قديما وحديثا، وكان صهره والقائم بمؤنه، والمتولّي لأشغاله دونه، سعة يسار، وكرم وإصهار ويتفرّغ بذلك للإمتاع بما رواه". (Ibn al-Abbār, 2000). ومن أشهر الذين تتلمذوا للصّدفي الحافظ المؤرّخ أبو القاسم خلف بن عبد الله الملك بن مسعود بن بشكوال قال في الصلة:" وكتب إلينا بإجازة ما رواه إلينا بخطّه في ذي الحِجة سنة ٥١٢هـ وهو من أجلّ من كتب إلينا من شيوخنا ممن لم ألقه " (Ibn Basykuwāl, 1989).

جهود الصّدفي الحديثيّة ونسخته الفريدة للجامع الصحيح للبخاري

١- جهود القاضي الصّدفيّ الحديثيّة

– روايات الصّدفي لكتب الحديث

اهتمّ الصدفي بسماع الكتب الحديثية بأسانيد مغربية ومشرقية ومن أجلّ رواياته رواية صحيح محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري(١٩٤-٢٥٦هـ) فهو يرويه من طريقين:

الأول: طريق أبي الوليد الباجي، قال القاضي عياض:" سمعت جميعه على القاضي الشهيد أبي عليّ الحُسين بن محمّد الصّدفيّ، حدّثني به عن القاضي أبي الوليد الباجي عن أبي ذرّ بسنده " (Al-Yaḥṣubī, 1982)؛ وأبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروي(ولد بهراة ٣٥٥هـ وتوفّي ٤٣٤هـ بمكة) يروي الصحيح عن شيوخه الثلاثة الحفّاظ الآخذين عن الإمام الفربري محمد بن يوسف بن صالح أبو عبد الله عن الإمام البخاري وهم: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المستملي سمع الصحيح سنة أربع عشرة وثلاث مائة (-٣٧٦هـ) ؛ وأبو محمد عبد الله بن

أحمد بن حمّويه الحمّويي (٢٩٣- ٣٨١هـ) ؛ وأبو الهيثم محمد بن المكّي بن محمد الكُشمِيهَني (-٣٨٩هـ) سمع الصحيح من الفربري سنة عشرين وثلاثمائة(٣٢٠هـ). (Al-Sabtī, t.t.).

الثاني: عن الشيخ أبي الحسن بن أيوب البزّاز قال في الغنية:"وحدثني به القاضي أبو عليّ الصّدفيّ أيضا عن الشيخ أبي الحسن ابن أيّوب البزّاز عن أبي عبد الله الحسن بن محمّد الخلاّل عن أبي عليّ بن الحاجب الكُشَانيّ – بالنّون وضمّ الكاف وشين معجمة – عن الفربريّ"؛ والكُشَانيّ "آخر من حدّث به عنه". (Al-Yaḥṣubī, 1982) .

وأمّا صحيح مسلم بن الحجّاج النّيسابوري؛ فيرويه عن أبي العبّاس العذريّ المعروف بابن الدّلائي(٣٩٣-٤٧٨هـ)، قال القاضي عياض:" قرأت هذا الكتاب وسمعته على غير واحد من أشياخي، منهم القاضي أبو عليّ الصّدفيّ، سمعت جميعَه يُقرأ عليه في جامع مُرسية سنة ثمان وخمسمائة (٥٠٨هـ)، حدّثني به عن أبي العبّاس العذري بسنده" (Al-Yaḥṣubī, 1982)؛ وأثبت ابن الأبّار سماع الصّدفي عن ابن الدّلائي(العذري) فقال:" سمع بحضرة بَلَنسية صحيح مسلم على العذري في سنة أربع وسبعين وأربعمائة(٤٧٤هـ)" (Ibn al-Abbār, 2000)؛ وأبو العبّاس العذريّ يروي صحيح مسلم سماعا فيقول "حدثنا أبو العبّاس أحمد بن بندار بن عبد الله الرّازي قراءة عليه بمكة وأنا أسمع سنة تسع وأربعمائة(٤٠٩هـ) عن أبي أحمد محمد بن عيسى الجُلودي عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه عن أبي الحسين مسلم رحمه الله". (Al-Isybīlī, 2009).

وأمّا الموطأ لمالك بن أنس إمام دار الهجرة (٩٣-١٧٩هـ)؛ فلم يذكر القاضي عياض أنه روى هذا السِّفر الجليل عن أبي عليّ، إلا أن ابن الأبّار قد صرّح في معجمه في أكثر من موضع برواية الصّدفي للموطأ وذلك عن الإمام الباجي صاحب المنتقى. وقد أخذ وروى الموطأ بإطلاق عن أبي علي ابن سُكّرة أحمد بن عبد الرحمان بن عيسى بن إدريس التُّجيبي أبو العباس (ت٥٦٣هـ)، قال ابن الأبّار:" سمع من أبي علي الصدفي موطأ مالك " (Ibn al-Abbār, 2000).

إلى غير ذلك من التآليف والمصنفات التي تلقاها عن شيوخه الأندلسيين أو من لقي في رحلته الطويلة العلمية. فهو إمام محدّث بارع.

- **مجالس أبي عليّ الصّدفي الحديثية وأماكنها.**

عقد القاضي الصّدفيّ مجالسه العلميّة في عدّة مدن أندلسيّة بعد قفوله من تلكم الرّحلة العلميّة التي امتدّت على تسع سنوات كاملة.

ومن هذه المدن مُرسية والمريّة وهي موئله وموطن بثّ علمه وفيها تصدّر للإفادة والتّحديث. أشار ابن الأبّار إلى ذلك في ترجمة إبراهيم ابن مُنية الغافقي الذي هو من أهل المريّة وسكن مُرسية قال:" سمع ببلده –المريّة- من أبي عليّ، والمكثرون عنه أهل هاتين البلدتين بالأندلس، حتى قال القاضي عياض وذكر فراره من القضاء: " اغتنمه أهل المريّة فسمعوا في تلك المدّة عنه سماعا كثيرا، يعني آخر سنة خمس وخمسمائة". (Ibn al-Abbār, 2000).

كما جلس لإقراء الكتب الحديثية وإسماعها بدانيَة وبَلَنسية وشاطبة؛ وكذلك تنوّعت مجالسه التّحديثيّة بين مجالس السّماع ومجالس القراءة، فكان له قارئون متخصصون في القراءة ملازمون له طالت صحبتهم منهم أبو

عبد الله محمد بن سعادة (٥٦٦هـ) تلميذه وراوية علمه، كذلك أبو عمران موسى بن سعادة البلنسي (عمّ محمّد السابق ذكره)، وأبو عِمران "سمع من أبي عليّ عامّة روايته ولازم مجلسه قديما وحديثا وكان صهره والقائم بمؤنه والمُتَولّي لأشغاله دونه". (Ibn al-Abbār, 2000).

٢- النّسخة الصّدفية لصحيح البخاريّ.

إنّ الهدف من هذا المبحث هو إظهار المسيرة التي خضع لها كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاريّ بشكل عامّ، وبشكل خاصّ هو التعريف ووصف نسخة قديمة فريدة لهذا المصنّف الجليل مكتوبة بخطّ أندلسي. ثم بيان الخصائص التي تحمله هذه النسخة.

هذا المخطوط النّفيس هو رواية للصحيح عن أبي ذرّ الهرويّ (عبد بن أحمد بن محمّد) عاش ما بين (٣٥٥-٤٣٤هـ) ولد بهرات من نواحي خراسان.

قضّى أبو ذرّ الهرويّ أكثر عمره في مكّة مجاورا، اشتهر بدراسة الجامع الصحيح وقد أثبت ابن رُشيد السّبتي أنه قرأ على أبي إسحاق المستملي (ت ٣٤٦هـ) وأبي محمّد الحمّويي (ت ٣٨١هـ) وأبي الهيثم الكُشميهَنيّ (ت ٣٨٩هـ) الذين سمعوا الجامع الصحيح على الفربري(ت٣٢٠هـ) تلميذِ الإمام البخاريّ(ت٢٥٦هـ).

تنبّه أبو ذرّ إلى الفروق اللفظية في نسخ شيوخه الثلاث فحدّد لكل نسخة رمزا وأشار إلى الفروق بينها وكتب لنفسه نسخة من صحيح البخاري. هذه الجهود المبذولة من أبي ذرّ والقواعد التي استعملها جعلت نسخته تكون مميّزة . جلس الهرويّ لإقراء الصحيح في مكة المكرّمة لسنوات طويلة ونسخته اشتهرت في الأندلس والمغرب وذلك بفضل تلاميذه الذين رحلوا إليه وتلقّوا منه البخاريّ ومن أبرز وأشهر هؤلاء أبو الوليد الباجيّ(ت٤٧٤هـ) وابن منظور الإشبيلي (ت٤٦٩هـ) وأبو القاسم عبد الجليل الإشبيلي(ت٤٤٠هـ) وغيرهم. (Al-Sabtī, t.t.)

ويعتبر أبو الوليد الباجي من رؤوس المذهب المالكي بالأندلس في ذلك العصر لذلك توجّه إليه أكثر الرّاغبين في سماع رواية أبي ذرّ الهروي، فتوجّه إليه القاضي أبو عليّ الصّدفيّ ابن سُكّرة(ت٥١٤هـ)، وسمع عليه صحيح البخاريّ وانتسخ نسخة من الجامع الصحيح كتبها بخط يده في مُرسية وأقرأها فيها لسنوات طويلة. (Rustum, 2011).

- **مميزات النسخة الصّدفية من الجامع الصّحيح**

قال ابن بشكُوال: " وكان حسن الخطّ جيّد الضبط وكتب بخطّه علما كثيرا وقيّده. وكان حافظا لمصنّفات الحديث قائما عليها، ذاكرا لمتونه وروايته، وكتب منها صحيح البخاريّ في سِفرٍ، وصحيح مسلمٍ في سفرٍ" (Ibn Basykuwāl, 1989)؛ وهذا الكلام يبيّن لنا منزلة القاضي الصّدفي فهو المحدّث البارع الحافظ الضابط لمتون وأسانيد الأحاديث، الذي عُرف واشتهر بكتابته لصحيح البخاريّ ومسلم كل منها في سفر أي مجلّد.

قال الناصري في المزايا :" ولقد عثرت على أصل شيخه(الكلام عن نسخة أبي عمران موسى بن سعادة)الذي طاف به البلاد بخطّه في جزء واحد مدموج لا نقط به أصلا على عادة الصّدفيّ وبعض الكتّاب، إلا أنّ بالهامش منه كثرة اختلاف الروايات والرّمز عليها، وفي آخره سماع عياضٍ وغيره من الشيخ بخطّه، وفي أوّله كتابة ابن جماعة

الكنانيّ، والحافظ الدّمياطيّ، وابن العطّار والسّخاويّ قائلا (هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلانيّ وبنا عليه شرحه الفتح واعتمد عليه، لأنّه طيفَ به في مشارق الأرضِ ومغاربها والحرمين، ومصرَ والشّام والعراق والمغرب " (Al-Nāṣirī, 2003)

ولقد جاء في الرّحلة النّاصريّة الصّغرى:" ومن الكنوز التي وقفت عليها بيد أبي الطبل المذكور نسخة من صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في مجلّد بخطّ الحافظ أبي عليّ الصّدفيّ، شيخ القاضي عياض، اشتراها بثمن بخسٍ في عدّة كتبٍ بمدينة استنبول، وراودته على بيعها عازما على إعطاء مائة دينار ذهبا فيها فامتنع ويأبى الله إلا ما أراد، وما هي إلا مُضيّعة بهذه البلدة. وقد كانت تداولتها الأيدي بالأندلس ومصر في سالف القرون وعليها من سماعات العلماء عياض فمن دونه إلى ابن حجر العجب". (Al-Darraʿī, 2009).

وقال أيضا مبيّنا مميزات هذا الدرّ النفيس:" وموجب قول ابن جماعة ما ذكر أن خطّ الصّدفيّ أندلسيّ رقيق غير منقوطٍ إلا أنه يُشكِلُ المُشكل على عادته وعادة بعض الكتّاب. نعم عليها تصحيحات واختلاف الرّوايات ورموز وتخريجات لا ينتفع بها إلا الماهر في الفنّ المتدرّب على الرّوايات". (Al-Nāṣirī, 2003).

- **وصف للنسخة الصدفية**

قال الكتّاني في فهرس الفهارس:" وممن رأيته أفاض في وصف هذه النسخة الفقيه المدرّس أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن الشيخ أبي محمّد عبد القادر الفاسي في رحلته الحجازيّة الواقعة عام ١٢١١هـ يقول:" لطيفة: وقفت بمحروسة طرابلس على نسخة من البخاريّ في سِفرٍ واحدٍ في نحوٍ من ستة عشر كرّاسة وفي كلّ ورقة خمسون سطرا من كلّ جهة، وكلّها مكتوبة بالسواد لا حمرة بها أصلا. وهي مبتدأة بما نصّه: (بسم الله الرحمان الرحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد نبيّه، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ...) ولا نقط بها إلا ما قلّ وبآخرها عند التمام ما صورته: (آخر الجامع الصّحيح الذي صنّفه أبو عبد الله البخاري رحمه الله والحمد لله على ما منّ به وإيّاه أسأل أن ينفع به. وكتبه حُسين بن محمّد الصّدفيّ من نسخة بخطّ محمّد بن عليّ بن محمود مقروءة على أبي ذرٍّ رحمه الله وعليها خطّه. وكان الفراغ من نَسخِه يومَ الجُمعة ٢١ محرّم عام ثمانية وخمسمائة(٥٠٨هـ) والحمد لله كثيرا كما هو أهله وصلواته على محمّد نبيّه ورسوله صلّى الله عليه وسلّم كثيرا أثيرا. (Al-Kattānī, 1982).

وعلى ظهرها: كتاب الجامع الصّحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنّته وأيّامه، تصنيف أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ رضي الله عنه رواية أبي عبد الله محمّد بن يوسف الفربريّ عنه رحمه الله. لحُسين بن محمّد الصّدفيّ. (Al-Kattānī, 1982)

وقال: "وعليها إجازة الصّدفي للقاضي عياض في جملة الفقهاء بسماعهم له في المسجد الجامع بمُرسية. وعلى ظهرها أيضا: هذه النّسخة جميعها بخطّ الإمام أبي عليّ الحُسين بن محمّد الصّدفيّ شيخ القاضي عياض وهي أصل سماع القاضي عليه كما ترى في الطّبقة المقابَلَة لهذه. وهي الأصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف إليه. وقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ ابن حجر حالة شرحه للجامع الذي سمّاه فتح الباري". (Al-Kattānī, 1982).

فتحصّل لنا من جملة هذه النصوص جملةً من المميّزات:

١- حصول العلم بأن هذه النسخة الصّدفيّة كلّها في جزء واحد مدموج، مجلّد واحد في نحو ستة عشر كرّاسة، في كل ورقة خمسون سطرا من كلّ جهة. (Al-Kattānī, 1982)

٢- هذه النسخة ثبت الأمر أنها بخطّ الحافظ الصّدفيّ المعروف بأنه أندلسي رقيق غير منقوط شهد بذلك الدّرعي والفاسي رحمهما الله. (Al-Darraʿī, 2009)

٣- هذا المخطوط عليه بيان للأصل الذي اعتمده الصّدفيّ في كتابة نسخته فهو بخطّ محمّد بن عليّ بن محمود وهو مقروء على الحافظ أبي ذرّ الهرويّ رحمه الله وعليه خطّه. (Al-Kattānī, 1982)

٤- عليها إثبات تاريخ الانتهاء من نَسخه، وكان ذلك في يوم الجُمعة ٢١ من محرّم من عام ثمانية وخمسمائة (٥٠٨هـ). (Al-Kattānī, 1982)

٥- هذا الأصل أقرأه الحافظ الصّدفي رحمه الله بجامع مُرسية وتلقّاه عنه الجمّ الغفير ومنهم القاضي عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله. (Al-Yaḥṣubī, 1982)

٦- لنفاسة هذا الأصل وجلالته اهتم به العلماء واقتنوه وتناقلوه فثبت أنه عليه سماعات جملة من أكابر أهل العلم كالقاضي عياض وابن جماعة الكناني والحافظ الدّمياطي وابن العطّار والسّخاوي رحمهم الله. (Al-Kattānī, 1982)

٧- هذا الدرّ الثمين اعتمده الحافظ ابن حجر في شرحه فتح الباري وجعله أصلا أفاد هذا الكلام الحافظ السّخاويّ تلميذ ابن حجرٍ رحمه الله ورزقنا علومه. (Al-Kattānī, 1982)

٨- هذا العَلَقُ النّادر انتقل من الأندلس إلى اسطنبول ثم إلى طرابلس ليبيا واستعارها الشيخ الفاضل ابن عاشور رحمه الله فانتقلت لتونس ثمّ عادت إلى ليبيا. (Rustum, 2011)

١٠-العُنوان الذي ذُكر على ظهر هذه المخطوطة النّادرة – كتاب الجامع الصّحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسنّته وأيامه- لكاتبها حسين بن محمّد الصّدفيّ. (Al-Kattānī, 1982)

لقد انقطع خبر هذه النّسخة الصّدفية من سنة ١٢١١هـ حتى جاءت البشرى للعلاّمة عبد الحيّ الكتّاني بوجودها بمكتبة أحمد الشّريف السنوسي بليبيا وذلك في نصّ رسالةٍ بعث بها الشريف السنوسي إليه يقول فيها:" نسخة البخاري التي بخطّ الحافظ الصّدفيّ عندي في الكتب التي بجغبوب يحفظها الله" (Al-Kattānī, 1982).

وفي سنة(١٣٨٤هـ-١٩٦٥م) زار عبد الهادي التّازي مكتبة الجغبوب للبحث عن أصل الصدفي، بَيد أنه لم يقف عليه فيها،" ووقف على ما يفيد أن الشيخ الفاضل ابن عاشور قد استعار الأصل المذكور من مكتبة الأوقاف ببنغازي وحمله معه إلى تونس"، وهذه النسخة "طلبها بعد ذلك الملك الإدريسي ابن المهدي، فجيء بها من تونس إلى طرابلس حيث بقيت إلى اليوم". (al-Tāzī, t.t.)

قال زين العابدين رستم أن الشيخ الحسني محمد الأمين أبو خبزة التطواني جزم له:" أن نسخة الصدفي موجودة بطرابلس، أكّد له ذلك دكاترة ليبيون لقيَهم بمكة "، في رحلته إليها وكان ذلك عام ١٤٢٠هـ (Rustum, 2011).

جناية رشيد أيلال المغربي على الجامع الصّحيح للبخاري

هذه النسخة الصّدفية للجامع الصّحيح للإمام البخاري أراها من الدّرر النفيسة التي تؤكّد حقيقة البخاري فهي موصولة بالسماع والمقابلة والعرْض والتّصحيح والتدقيق والتّحقيق حرفا حرفا، وهي أيضا تعبّر عن اعتناء أهل المغرب الإسلامي بالصحيح وأنّه ذو مكانة سامقة رفيعة. لكن هذا الأمر ما ارتضاه رشيد أيلال بل نسفه بكتابه " صحيح البخاري نهاية أسطورة".

وهو يزعم أنّنا نتعامل مع مصنّف لكاتب مجهول لأنّه ليْس بين أيدينا " مخطوطة واحدة، أو حتى جزء من مخطوطة لصحيح البخاري، بخطّ محمد بن إسماعيل البخاري، ولا وجود لمخطوطة أو جزء من مخطوطة لنفس الكتاب بخط أحد من تلامذة البخاري، ولا وجود أيضا في العالم أجمع لمخطوطة واحدة أو جزء من مخطوطة بخط أحد تلامذة تلامذة البخاري" (Aylāl, 2017)

وهذا عجيب منه فمن أرادَ أن يتسوّر سور علمٍ من العلوم عليه أن يحاكم أهله بمصطلحاتهم وأدواتهم، فمن علوم القوم ما عرف عندهم بطرق التّحمّل وصيغ الأداء؛ وقد ذكر المحدّثون ثماني طرق لتحمّل الحديث- حديث واحد أو كتاب- وهي: السّماع، والعرضُ، والإجازة، والمناولة، والمكاتبة، والإعلامُ، والوصيّة، والوجادة. (Ḥarīd, Kulṯsūm Muḥammad & Ābādī, Muḥammad, 2024)، ثمّ هذا الترتيب عند المحدّثين ترتيب تنازليّ من الأعلى إلى الأدنى، فأعلى طرق التّحمّل السّماع وأدناها وأضعفها الوِجادة لما يعتريها من التّصحيف والتغيير والتّبديل. ولذلك لم يقبل العلماء في هذا بحدّثنا أو أخبرنا. (Al-Yaḥṣubī, 1970). فكيف صارت هي الأعلى شأنا عند رشيد أيلال؟!

ثمّ منذ متى اشترط المحدّثون نسخة مخطوطة بخطّ صاحب الكتاب ليُحكم بثبوته؟ مع أنّ أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد المُسْتَملي، قال:" انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربري، فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيضة، منها تراجم لم يثبت بعدها شيئا، ومنها أحاديث لم يترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض". (Al-ʿAsqalānī, 1380).

ولكن إذا عرفَ السّبب بطل العجب؛ فرشيد أيلال اتّخذ مطيّة نقد البخاري وجامعه الصّحيح لأنّه في حقيقة الأمر يدّعي أنّ السّنّة النّبويّة ليست وحيا من الله سبحانه، بل يعتبرها تراثا قديما باليا قابلا للمراجعة والرّدّ والمناقشة، ويزعم أنّ السنّة لم تعد صالحة لعصْرنا ومصرنا. (Turkī, 2021).

ورشيد أيلال متناقض مع نفسه لأنّه يعتبر السنّة النّبويّة -والتي أجلّ مصنّف فيها هو الجامع الصّحيح للبخاري- من مصادر الدّين الإسلامي، ويتساءل لمَ يُضيف إليها المحدّثون والفقهاء أقوال الصحابة والتّابعين؟ وأحيانا ينكرها تماما ويعتبرها متضاربة مختلفة مبتدعة من الطوائف والمذاهب لأجل تعزيز مواقعها الدّينيّة

والسّياسية، فكأنّ المسلمين جميعا تواطؤوا على الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بل اتّخذوا ذلك الكذب دينا يتعبّدون به، وتجاهل عدالة الصّحابة الثّابتة في القرآن الكريم! (Turkī, 2021)

والذي يلاحظُ أنّ هذه الدعوى وهي عدم وجود مخطوط في العالم أجمع بخطّ البخاري أو بخط تلميذ له يسوّقها تحت غطاء مخالفة العقل وقواعد المنطق، وهو بذلك يخالف قواعد المحدّثين في نقدهم الحديثي، فهم يحتكمون إلى العقل فأعملوا قواعده في السّند والمتن، في القبول والرّد، في الجرح والتّعديل، واعتبروا أنّ دور العقل يجب أن يكون في تأصيل القواعد العلمية الصّحيحة للنقد والجرح والتعديل، والتّرجيح والتعليل، وقصدوا بالعقل العقلَ المستنيرَ بالكتاب والسنّة لا العقلَ المجرّد. (Rawān, 2022).

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج المهمّة التي تُبرز مكانة الإمام البخاري وجامعه الصحيح في نفوس العلماء، ولا سيما عند المغاربة والأندلسيين الذين أولوه عناية فائقة، إذ كانوا يقطعون المسافات الشاسعة لسماعه ونسخ نسخه المطابقة للأصل. كما أظهرت الدراسة أن حياة الحافظ القاضي الشهيد الصدفي كانت حافلة بالعطاء العلمي والتدريس والإقراء، وأن الحافظ ابن سُكّرة قد أولى الجامع الصحيح عناية خاصة، فروى نسخه العالية عن أبي الوليد الباجي عن أبي ذرّ، ونسخ بخط يده نسخة نفيسة فائقة الجمال عُثر عليها في مكتبة طرابلس الغرب. وقد كشفت هذه النسخة عن مكانة الصدفي العلمية وتمكّنه في الحديث والفقه، وعن براعته في فهم مقاصد الكتب وأبوابها، حتى غدا مثالاً يُحتذى في الإتقان والضبط.

كما أكد البحث أن هذا الأصل الحديثي يُعد كنزًا علميًا موثوقًا من حيث النقل، متصلًا بالإمام البخاري بالسماع الصحيح، وأنّ التشكيك فيه لا يصدر إلا ممّن يشكّ في الواضحات. وقد فنّد الباحث الطرح الذي تبنّاه رشيد أيلال في كتابه صحيح البخاري نهاية أسطورة، مبيّنًا أنه قائم على تصورات باطلة لا وزن لها عند المحدّثين ولا تقوم على أسس علمية صحيحة. وأثبتت النسخة المخطوطة بخطّ الصدفي صدق منهج المحدّثين في السماع والكتابة والمقابلة بالأصول، مما يعزّز الثقة بثبوت الجامع الصحيح ويدحض كل مزاعم الطعن فيه. واختتم الباحث أمله بأن يُخرَج هذا الأصل من ظلمة المخطوط إلى نور المطبوع المحقّق في حُلّة علمية أنيقة تسرّ أهل العلم وتغلق الباب أمام كل حاقد ومتطاول على الإمام البخاري وجامعه الصحيح.

المصادر والمراجع

Al-ʿAsqalānī, A. b. (1380 H). *Fatḥ al-Bārī bi-Syarḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (ed. 1). Kairo: al-Maktabah al-Salafiyyah.

Al-Darraʿī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Salām. (2009). *al-Riḥlah al-Nāṣiriyyah al-Ṣughrā.* al-Ribāṭ, al-Mamlakah al-Maghribiyyah: Mansyūrāt Wizārat al-Awqāf wa al-Syuʾūn al-Islāmiyyah.

Al-Ḏzahabī, Syams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad. (1982). *Siyar Aʿlām al-Nubalāʾ* (al-Iṣdār 9, al-Mujallad 19). Bairut: Muʾassasat al-Risālah.

Al-Ḏzahabī, Syams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad. (2003). *Tārīkh al-Islām wa Wafayāt al-Masyāhīr wa al-Aʿlām* (al-Iṣdār 1, al-Mujallad 7). Bairut, Libanon: Dār al-Gharb al-Islāmī.

Al-Ḥamawī, Yāqūt ibn ʿAbd Allāh. (1977). *Muʿjam al-Buldān* (al-Iṣdār 3, al-Mujallad 3). Bairut: Dār Ṣādir.

Al-Isybīlī, Abū Bakr Muḥammad ibn Khayr. (2009). *al-Fihrisah* (al-Iṣdār 1). Bairut: Dār al-Gharb al-Islāmī.

Al-Kattānī, ʿAbd al-Ḥayy. (1982). *Fihris al-Fahāris wa al-Aṯbāt* (al-Iṣdār 2, al-Mujallad 2). Bairut, Libanon: Dār al-Gharb al-Islāmī.

Al-Kattānī, Yūsuf. (t.t.). *al-Imām al-Bukhārī wa Jāmiʿuhu al-Ṣaḥīḥ* (al-Iṣdār 1). al-Ribāṭ: Jamʿiyyat al-Imām al-Bukhārī.

Al-Kattānī, Yūsuf. (t.t.). *Madrasat al-Imām al-Bukhārī fī al-Maghrib.* Bairut, Libanon: Dār Lisān al-ʿArab.

Al-Nāṣirī, M. B. (2003). *al-Mazāyā fīmā Uḥdiṡa min al-Bidaʿ bi-Umm al-Zawāyā* (ed. 1). Bairut, Libanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Nawawī, Yaḥyā ibn Syaraf. (2008). *al-Talkhīṣ Syarḥ al-Jāmiʿ al-Ṣaḥīḥ li al-Bukhārī* (al-Iṣdār 1). al-Riyāḍ: Dār Ṭayyibah li al-Nasyr wa al-Tawzīʿ.

Al-Qāsimī, Jamāl al-Dīn. (1330 H). *Ḥayāt al-Bukhārī* (al-Iṣdār 1). Sidon, Libanon: Majallat al-ʿIrfān.

Al-Sabtī, Muḥammad ibn Rasyīd. (t.t.). *Iḍādat al-Naṣīḥ bi-Sanad al-Jāmiʿ al-Ṣaḥīḥ* (al-Iṣdār 1). Tunis: al-Dār al-Tūnisiyyah li al-Nasyr.

Al-Suyūṭī,ʿAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. (2005). *Tadrīb al-Rāwī fī Syarḥ Taqrīb al-Nawāwī* (al-Iṣdār 3). Kairo, Mesir: Dār al-Turāṯ.

Al-Yaḥṣubī, A. B. (1982). *al-Ghunyah* (ed. 1). Bairut, Libanon: Dār al-Gharb al-Islāmī.

Al-Yaḥṣubī, ʿIyāḍ ibn Mūsā. (t.t.). *Masyāriq al-Anwār ʿalā Ṣiḥāḥ al-Āṯār.* Tūnis: al-Maktabah al-ʿAtīqah.

Al-Yaḥṣubī,ʿIyāḍ ibn Mūsā. (1970). *al-Iʿlām ilā Maʿrifat Uṣūl al-Riwāyah wa Taqyīd al-Samāʿ* (al-Iṣdār 1). Kairo / Tunis: Dār al-Turāṯ / al-Maktabah al-ʿAtīqah.

Aylāl, Rasyīd. (2017). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī Nihāyat Ustūrah* (al-Iṣdār 1). al-Ribāṭ, al-Mamlakah al-Maghribiyyah: Dār al-Waṭan.

Dahlan, Ahmad. (2018). *Mahmūd Sa'īd Mamdūḥ Method in Hadith Judging from the book al-Ta'rīf bi Awhām Man Qasama al-Sunan ila Ṣahih wa Ḍa'if| منهج محمود سعيد ممدوح في الحكم على الحديث من خلال كتاب التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف.* Al-Zahra: Journal for Islamic and Arabic Studies, 12(1).

Ḥarīd, Kulṯsūm Muḥammad & Ābādī, Muḥammad Abū al-Layṯ al-Khayr. (2024). *al-Naqd al-Ḥadīṡī ʿinda al-Muḥaddiṡīn al-Sijzīyīn.* Journal of Scientific Research and Islamic Studies, 16(3), 72.

Ibn al-Abbār, Muḥammad ibn ʿAbd Allāh. (2000). *al-Muʿjam fī Aṣḥāb al-Qāḍī al-Imām Abī ʿAlī al-Ṣadafī* (al-Iṣdār 1). Kairo: Maktabat al-Ṯaqāfah al-Dīniyyah.

Ibn al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad. (2006). *Ghāyat al-Nihāyah fī Ṭabaqāt al-Qurrāʾ* (al-Iṣdār 1, al-Mujallad 1). Bairut, Libanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn ʿAṭiyyah ,Abū Muḥammad ʿAbd al-Ḥaqq. (1983). *Fihrisah* (al-Iṣdār 2). Bairut, Libanon: Dār al-Gharb al-Islāmī.

Ibn Basykuwāl, Khalaf ibn ʿAbd al-Malik. (1989). *al-Ṣilah* (al-Iṣdār 1, al-Mujallad 1). Kairo: Dār al-Kitāb al-Miṣrī.

Ibn Farḥūn, Ibrāhīm ibn ʿAlī. (t.t.). *al-Dībāj al-Muḏhab fī Maʿrifat Aʿyān al-Maḏhab* (al-Iṣdār 1, al-Mujallad 1). Kairo, Mesir: Dār li al-Ṭabʿ wa al-Nasyr.

Mustaghfirin, M. K & ,.Mujab, S. (2022). *Manhaj al-Taṣḥīḥ wa al-Taḍʿīf ʿinda al-Muḥaddiṡīn: Dirāsah Naqdiyyah li-Manhaj al-Syaikh al-Albānī Namūdzajan.* Al-Zahra: Journal for Islamic and Arabic Studies, 19(2), 183.

Pahrudin, A & ,.Bahrul, N. (2023). *Naqd Matan al-Ḥadīṡ ʿinda Nūr al-Dīn ʿIṭr wa Ṣalāḥ al-Dīn al-Adlabī.* Al-Zahra: Journal for Islamic and Arabic Studies, 20(2), 190.

Rawān, ʿIzz al-Dīn. (Desember, 2022). *Majāl al-ʿAql fī al-Naqd al-Ḥadīṡī ʿinda al-Muḥaddiṡīn.* Journal of Scientific Research and Islamic Studies, 14(5), 38–39.

Rustum, Muḥammad ibn Zayn al-ʿĀbidīn. (2011). *al-Ḥāfiẓ al-Raḥḥālah Abū ʿAlī al-Ṣadafī wa Juhūdih fī Khidmat al-Ḥadīṡ al-Nabawī wa ʿUlūmih* (al-Iṣdār 1). Bairut, Libanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Turkī, ʿAbd al-Raḥmān. (Desember, 2021). *al-Munkirūn al-Muʿāṣirūn li al-Sunnah al-Nabawiyyah bi-Daʿwā Muʿāraḍatihā li al-Qurʾān al-Karīm (Ṣaḥīḥ al-Bukhārī Nihāyat Ustūrah) Anmūdzajan.* Eddakhira Journal for Academic Research & Islamic Studies, 5(2), 110.